

بوبع المعتصم بن الرشيد يوم وفاة أخيه المأمون في ١٩ رجب سنة ٢١٨ هـ وهو في غزوة الأخيرة لبالد الروم، ورفض الجنادن يقدموا له الطاعة في مبدأ الأمر وأرادوا تولية العباس بن المأمون، ولكن العباس أسرع إلى مبايعة عمه بالخالفة احتراماً لوصية أبيه فهذا الجيش حذوه بعد ذلك. سار المعتصم على سياسة أخيه المأمون، في حمل الناس على القول بخلق القرآن، وخذ بسيرة أخيك في القرآن وزاد على ذلك أن الحق الذي بكل من يعترضه غير ذلك من العلماء وأهل الرأي، فأهان أحمد بن حنبل إهانة بالغة وسجنه، وأصبح كل عالم أو قاض هدفاً لأن يضرب بالسياط والتعذيب إذا لم يأخذ برأي المعتزلة في القول بخلق القرآن. التي تبعها الخلفاء العباسيون قبله عدا المأمون. فقد تخلص المعتصم من محمد الجواد بن علي الرضا الذي كان المأمون قد زوجه ابنته أم الفضل، حتى ألا تحدث نفسه بالمطالبة بالخلافة على أساس أن أولاده من ساللة المأمون، وأن أباه علي الرضا قد وله الخليفة المأمون العهد قبل وفاته، وبذلك تؤول الخلافة إليه بعد كذلك خرج محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب على المعتصم، الخليفة في عدة مواقع، وأرسله إلى المعتصم فحبسه في سامراً حتى مات. اعتماده على الأتراك : اعتماداً كلياً على بعد أن كان اعتماد من سبقه من الخلفاء على الفرس، والعجب في ذلك إذ كانت أمه تركية فأسقط العرب من ديوان العرب، وأهمل العنصر العربي والفارسي معاً، وكان المعتصم يرى أن دولته الواسعة البد أن يقوم بحراستها جيش فاستكثر من الأتراك، وكانوا يجلبون من أسواق الرقيق في بالد ما وراء النهر . واتخذ من حسن هنديتهم وجمال منظرهم وشجاعتهم وتمسکهم بأهداب إسلام سبباً للعتماد عليهم، فوالهم حراسة قصره، وأسند إليهم أعلى المناصب، وخلع عليهم الهبات والأرزاق وأثرهم على الفرس والعرب في كل شيء. أخذ هؤلاء الأتراك، الذين كانوا بعيدين عن الحضارة والعلم، يندمجون في طبقات النساء والمثقفين، فتعلموا العربية، ووقفوا على أحكام القرآن ودانوا بإسلام، ودرسوا العلوم والآداب، وكان كل من يصل منهم إلى مرتب خاصة من التهذيب والتثقيف يتولى المنصب الذي يتناسب مع كفائه ومواهبه، ومن ثم تمكن كثير منهم من الوصول إلى أعلى المراتب فاندمجاً في سلك البالط وتقلدوا والية الإمارات، وعظم نفوذهم واشتد ، تولية الخليفة وعزله أو حبسه ونفيه أو قتله . وما لبث عدهم أن زاد حتى أربى على الخمسين ألفاً، فقويت شوكتهم، وتسللوا على الخليفة حتى أليسهم حل الدبياج والمناطق المذهبة والحلبي فداخلهم الغرور وارتکبوا كثير من أعمال العسف والشدة، حتى أنهن كثيروا ما أذوا السكان ودارسوهم بخيولهم في الأسواق والطرقات، وكانت النتيجة إهمال المعتصم للعرب واستعانته بالأتراك واجزاه وقام عجيف القائد العربي بثورة على قواد الترك الذين أساءوا معاملة العرب، وأخرى العباس بن المأمون بالخروج على قتل المعتصم، الماء عن العباس حتى مات ولحق به عجيف. وثار العرب على المعتصم في بالد الشام، كما أثار أكراد الفتنة ضده في الموصل، ولكن هذه الثورات باعدت بالفشل في مهدتها. على أن المعتصم أطلق العطايا وقع في أيدي الأتراك. وهؤلاء كانت الرغبة في انتزاع السلطة من الخليفة قد تغلبت على نفوسهم، وُعد عهد خالفة المعتصم وخالفة الواقع من بعده، فترة انتقال إلى حكم وسلطان الخلفاء الاسمي منذ وفاة الواقع، وانضم بجاء في العصر العباسي الثاني خطر اعتماد العباسيين على الأتراك. مدينة سامراء لم يكن بد من أن يعمل المعتصم على تالي الشر قبل وقوعه، بعد لم يكن بد من أن استفحـل خطر الأتراك، وأثاروا سخط العامة وأذوا أهل بغداد . لذلك عول على اتخاذ موضع يبني فيه مدينة جديدة، تسع جنده من الأتراك، وهكذا بنيت سامراء شرقى نهر دجلة على مسيرة ثلاثة أيام من بغداد وتبعد عنها ستين ميل من الشمال، وتقع في مكان طيب الهواء جيد التربية. يسهل منه الوصول إلى بغداد براً وبحراً، وشيد في طرفها مسجداً جامعاً للمسلمين، وأفرد سوقاً أرباب الحرف والصناعات، ونقل إلى حاضرته وشيد المنتزهات، وأقام حتى سميت سر من رأى،